

## العادة وتأنجها

بم جبراندي فرمط استاذ الفلسفة والرياضيات في مدرسة كتهن

(تابع مافكة)

لا يعني ان القوى العاقلة لا تظهر جميعها دفعة واحدة فيتقدم بعضها كالذاكرة وتأخر البعض الآخر كثوة النظر والاستدلال وما هو شبيه بها او مترتب عليها من اصابة الرأي وسداد التدبير والذاكرة ايضا منها ما هو متعلق بايام الصبوة والشباب فالكهولة وهكذا. ومعلوم ان المتعلق فيها بايام الصبوة والشباب لا يزال اخرا في النفس بينا ان ما هو متعلق بالشيوخه يكون اول ما يتجني من النفس وهكذا على ما قد المعنا اليه. واما بقية القوى العنلية التي يتأخر ظهورها فلا تبلغ مبلغها من القوة والشدة دفعة واحدة بل تنمو شيئا فشيئا الى ان تنف عند آخر حدها ولا تزال كذلك الى ان يبدأ الانحطاط فاذا نزل هذا تجي هذه القوات على عكس ما نشأت وتكاملت اعني ان ما تكامل اخرا يتجني اولاً وبالعكس. ففي بده دور الانحطاط مثلاً ينفذ المنحط من شدة القوى العاقلة الدرجة التي بلغتها تلك القوى اخيراً فيصبح لا يقوى على الاحاطة بمدرجات تلك القوة اثناء شدتها كما كان لا يقوى على ذلك قبل بلوغ تكاملها ورسوخه وهكذا وما ينزل به فيشت عن المراد ويحل ما نريده ما ربما التوت علينا فيه العبارة القوة المدركة نسب الكميات فانه يصعب على المشتغل بهذا الفن ابتداء ان يدرك نسب الكميات المجردة البسيطة مثلاً ثم مع تكامل تلك القوة فيو ورسوخها شيئاً يستعمل جداً ما كان يستعصبة اولاً ولكنه اذ ذاك اذا اخذ يشغل في نسب الكميات المجردة من الدرجات العليا او المركبة يرى من الصعوبة نفس ما كانت براه اولاً مع البسيطة ويتلجل منها اذا عرضت له فاذا زاد تكامل القوة هذه فيو بما يقوى معه على الاحاطة بما هو من حوطة مدرجاتها عاد فاصبح يراها كالبيطة ولا يجد منه الصعوبة في الاشتغال بها معشار ما كان يجده اولاً. حتى اذا رسخت فيو تلك القوة وبلغت اعظم مبلغ تصل اليه بزاوله الاشتغال والتدريس بها اصحبت لديه في حكم البدييات فلا يرى من الصعوبة والمثقتة شيئاً لدى اشتغالها بها ولا يزال كذلك الى ان يبدأ دور الانحطاط فيكون منه حينئذ انه يرى مثقفة في التفكير بالمسائل العليا فيها ويتلجل اذا عرضت له فاذا زاد الانحطاط قصر عنها جملة وتغيبت عنه. اتم مدرجاتها لكن لا يزال يدرك نسب الكميات البسيطة المجردة ثم كلما زاد الانحطاط زاد اسماء هذه النسب ايضاً من ذهنه

الى ان يتقدها عن آخرها فيرجع الى مدركاها منها ابان الصبوة لا غير. ثم اذا عاش بعدها وزاد  
 انحطاطاً تراجع فيها الى ما وراء ذلك الى ان تعرفاه الله  
 فهذا جيمه ينطبق على وجود المميز العصي العفلي وتكليفه على مثل ما قدّمناه في الجوزات  
 البدئية المتعلقة بالحياة الحيوانية وتعليلها على مثل ما قدّمناه في تعليلها ايضاً  
 وبعد اذ قدّمنا ما قدّمناه في النوى العاقلة فلا يصعب على المتفكر مقابلتها بالنوى الاديّة  
 وان يرى فيها مثل ما رأيناه وقلناه في تلك ووجود المميز العصي الممكن تكيفه وفقاً لما انتهى  
 به مؤثرات العادة ومنهاجها . فليتدبر

## اهمية العادة

قال بعض الفلاسفة اخلاق الانسان انما هي مجموع عادات والمشهور على لسان العامة  
 والخاصة ان العادة خامس طبيعة ولا يخفى انه اذا كانت العادات مستحسنة كان لها من النفع  
 ما لا يكاد يتدر لنا فتدبر معها مع السهولة ان تأتي بافعال لولها انما انه كان يتعدّر علينا  
 فعلها او انه كان ينضي لنا من مداخلة الارادة ما اقلة بشق على ضعيفها وينهك قواها. وكل  
 ذلك يصدق على العفلية والاديّة من الافعال كما يصدق على الاديّة فن اعتاد على  
 الاشتغال باحد الاشغال العفلية في وقت معلوم من النهار لا يرى ادنى شيء من الصعوبة  
 في متابعة اعماله في وقتها المعين ولو انها من الصعوبة على اشدّها بخلاف من لم يعود نفسه مثل  
 ذلك فانه يرى الحاجة الى العمل ولا يستطيع عليه الا بعد شق النفس. هذا اذا كان قويّ  
 الارادة ويعتقد منفعة ما يعمل واهميته وهو مع ذلك لا يلبث اذا ابتداء عمله ان يتولاه التعب  
 ويأخذ به الضجر حتى انه قد يترك عمله بعد زمن من شروعه به مع سوء الباعث له عليه .  
 واما اذا لم يكن على ما ذكرنا من قوة الارادة فيكاد لا يستطيع ان يأتي عملاً ولو كان متندراً عليه  
 فيوجل امره يوماً بعد يوم الى ان يجد ما ينزله منزلة العلة تركه . والمعروف عن الكثيرين  
 انهم لعدم العادة يرون كتابة المكتوب مع اقتدارهم على الكتابة من اشق الامور عليهم فيترامون  
 ذلك من يوم الى آخر ولو افضى بهم الامر الى الخسارة والضرر

يحكى عن كثيرين انهم مع شدة حاجتهم واستيلاء الفاقة عليهم لا يرون ان يحجروا ما كتبوه  
 يوماً ويعشوا الى من يكفل لهم طبيعة ويميزهم عليهم بما يستد من عوزهم كل ذلك لعدم تعويد انفسهم  
 وترويضها. فن الثابت عن كولردج وكان من اقوى اصحاب البداهة واسام قريحة انه نظم في نوم  
 قصيدة من اغر النصائد وما استفاق اخذ يكتب ما ثبت منها في ذهنه فكتب البعض وعجز  
 عن كتابة البعض الآخر. وهذا الذي كتبه قيل اعطاه بعضهم قدراً معلوماً من الدرهم لمد عوزه

على ان يحوره له لكن لعدم اعتياده وضحف ارادته مما اخذ بسوقه في الامر ويماطله به  
 قيل واخذ منه الدرام ولم يستطع على كتابة ما طلب منه على هيتو . ولا يجنى على الطلبة ما  
 تسهله عليهم العادة من اتمام ما يجاولونه من الاعمال العتيبة ويعلمون ايضا الفرق بين ما اعتادوه  
 وبين ما لم يعتادوا عليه فان الاول حين عليهم سهل بخلاف الثاني فانه شاق عسر ولوانه في  
 ذاته اقرب فيها تناولاً من الاول . وأعلم عن كثيرين انهم اعتادوا مكتابه اصحابهم في يوم معين  
 من الاسوع فاذا جاء هذا اليوم اسرعوا الى الكتابة عنوا لا يبرون فيها شيئاً من الصعوبة  
 وآخريه وم اندر على الكتابة من الاولين لا يكتبون الكتاب ولو عانته اصحابهم على الكتابة اشد  
 العتاب وظل يوم بها المرار الكثيره

على أن في العادة محلاً للاحتراس من ان تغلب على النفس وتنتوى على تصرفها وتديرها  
 فيصح المعتاد عبد العادة لا يتجاملها ولا يعدل الي غيرها مما يدعو اليه الحال فان هنالك  
 الكثيرين تسرفهم العادة ونحكهم فيها فتصبح تسلطه عليهم لا خادمة لم يستعان بها على قضاء  
 الواجب وانما المطلوب واذا كانت العادة عادة سوء فتأصلت مع المعتاد ورحمت صورها في  
 نفوسه او كان فيوم الميل السوء ما يتغافل عن اقتلاعه صار امر ذلك الرجل الى ما لا يفتد مغتبه  
 فانه لا يعود يقوى على مخالفة هذا الميل وتلك العادة الا بعد العناء والجهد في توطئ الارادة  
 ورفق التصد وقد لا يقوى على ذلك ولا سيما اذا كان يرافق الميل شي لا من الانفعال النفساني فانه  
 في كل مرة يغلب في اعماله داعي الشهوة تزداد الشهوة فيه تشبهاً والميل استحكاماً وتزداد الارادة  
 ضعفاً وجيئاً الى ان تخضع آخر الامر اتم الخضع لسلطان الشهوة وتعجز عن المناوئة كلما عن  
 هذه مطلب او يهتها هوى . وعلى موجب ذلك ايضا تغلب بعض الافكار في الذهن على البعض  
 الآخر وتنفوى بما لا يترك مجالاً لتغيرها للنمو وعليه كان التهذيب العقلي والادبي من اهم ما يكون  
 في حياتنا فإنا لا نطيع في اذهاننا وانفسنا صورة لا تزول مع الايام ولا تنفي بنناء الشخص بل  
 نخطاه الى اعقاب كاسمجي . وبعلم ايضا ان الحال انما هو نتيجة الماضي فن زرع في صباه حصد  
 في شبابه ومشييه من مثل ما زرع وليس الا

انه بناء على ما قدسناه من وجود مجيز للنوى العاقلة والادبية وان هذا الجهد اذا اعتاد  
 شيئاً ازمان تنمو وتكاملو رشح عليه اخيراً واصبحت اعالة من ثم بدئية او في حكم البدئية وبناء  
 على ان تدير هذا الجهد موقوف على الارادة في اول امره فاذا احسنت هذه تعويك وتمريته  
 في البداية كانت افعاله على غاية الحسن في النهاية والآ فلا . وبناء على ان الارادة في الصغار  
 تكون على اضعفها يتج معنا ان تدرب الجهد موكول في بدء الحياة الى ارادة الهذب من

والوالدين والمعلمين او الى فعل الظروف الخارجة فان هذه اعني الظروف او ما يسمونها بالتجارب لمجدرة احيانا بما قيل فيها

نظي التجارب حكمة لمجرب حتى ترتقي فوق تربية الاب  
 لكن لما كانت هذه الظروف والمؤثرات الخارجة في كثير من الاحوال تؤذي بالصغار  
 اذا تركوا لانفسهم الى ما لا يجب من فساد الآداب وغلبة الشهوات واهمال القوى العاقلة كان  
 لا يركن اليها ولا ينبغي ان نترك الاحداث الى وكالتها فقط فلا بد لهم اذا من عناية الوالدين  
 والمعلمين ولذلك فن اهل تهذيب بنو صفارا طالبين العناية الازلية تبعه ما بصيرون اليه  
 كبارا وعاقبه على ذلك اشد العقاب لانه لم يتم بواجب ما اوتمن عليه وجنى على الانسانية  
 اعظم جناية واضر بالعمانية والدولة اشد ضرر . فلينعس الوالدون فان كل كلمة منهم تؤثر  
 في ميوزات بنهم اثر لا يخفى مع الايام وكل حركة من حركاتهم يطبع مثلها في انفس بنهم  
 وهيات ان تزول بعد ذلك فن شتم على سبع من بنو قند كيف نفوسهم او ميوزاتهم على  
 الشتم ومن افتخر بقبحه على مسامعهم فقد ركب في نظرهم جرثومة الفتنة والفتاحة تنوع مع نوم  
 وترسخ في بنيتهم متى بلغوا . ومن حملته رقة قلبه على ما يدعى ان يسامعهم بما يتفرون ويفض  
 الطرف عما يفعلون او يقولون ويحجب بانفسهم الى كل ما يظلمون ما توسوس اليهم به شهواتهم  
 واهواؤهم فقد جنى عليهم اكر جناية واساء اليهم ما لا كآفة عنه في يوم الدين فانه انما يضعف  
 فيهم الارادة ويمكن من سلطة الاهياء حتى اذا كبروا استحكمت اهواؤهم وضعت ارادتهم فاصحوا  
 عبيد الشهوة وارقاء الاهياء فكم من ولد قتله ابوه وابنة سعت في خزيبها شيئا وما لا يعلمان .  
 وواغيبا من يعلم ابنة الحيانة والمخل صغيرا ويعجب من خيانتها له ويخونها اياه كبيرا او يلامسها  
 بمديت الجن والغيلان ويعجب اذا رآه من بعد هذا جبانا جاهلا . اما المعلمون فهمتهم  
 اكبر المهام وواجباتهم اسمى الواجبات لانهم مهذبو العقول والقلوب وجاه الانسانية ويشيدون  
 دعائم العمران البشري على احسن تشييد لانهم هم الذين يتقنون القوى العاقلة والادبية في  
 نشوئها وتكاملها فترسخ ميوزات نلامذتهم وفق ما دربوها وعودوها عليه

ولما كانت هذه مهتهم افضى ان يكونوا خيرين باحوال الفطر وشرائع العقل البشري  
 وما يؤول الى تقويتها وان يكون لهم الملم باحسن الطرق لتهديبه وترويضه ولا سيما العواطف  
 والانفعالات وتدريب عقل التلميذ وارادته لتكون الاولى في ارقى احوالها وتصل الى اتم ما يمكن  
 لاستعدادها الوصول اليه من المدرجات والثانية على احسن احوالها واشدها تحسن التصرف  
 والتدبير في احوال القوى ولما من العواطف الادبية والصفات اعظم باعث يبعث بها على العمل

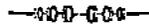
ويبلغ مقياسها من ترقية الانسانية والحرمان فان لم تكن هذه بعض صفاتهم كانوا على عكس ما ذكر اجمع. فان المعلم الجاهل الخامل يضر بالتعليم ضرراً افكاً انه بعدد من خموله وبعود مجهزاته اما على الخمول وعدم الحركة واما على الخطا في حركاتها توصلاً الى المطالب فهي لذلك اما لا تصل اليها مطلقاً او تصل اليها بعد المتأخر والمثمة ( وذلك فيما اذا كان التلميذ بالطبع قوي البدنية ساهي المدارك ) وذلك لا يعني كما بينا من شدة تأثير كل مجهز من مجهزات القوى العاقلة ازمان الصبورة بما يفعل عليها. فاذا لم ينهياً لتلميذ ان يتخرج على غيرهم نساء على خمولهم وجهلهم واذا نهياً له في سب موانع التخصص من تحت مناظرهم فاصعب ما عليهم ان تنسى مجهزاته ما التفتة عند امثال هؤلاء الجهلاء ويقضي لذلك مدة تطول او تقصر على نسبة شدة الاثر الذي تركه هؤلاء على مجهزاتهم او ضعفه وقد يقتضي لذلك سنون احبائنا وانه فيما قبل ذلك لا تقوى قواه العاقلة على عمل من اعمالها وكانها لا اثر للتعليم فيها ولا تقوى ما يلقي اليها

واعرف الكثيرين من التلامذة درسوا على امثال هؤلاء المعلمين فاعادهم هؤلاء من خمولهم حتى ان قوام العاقلة اصحبت كأنها هي مغلولة بسلاسل وكنت ارى ان امثال هؤلاء لا يستطيعون حراكاً الا الى جهة معلومة حسبها القوة من اسانذتهم وانهم لا يستطيعون ان يخطوا خطوة في جهة العلم الصحيح الا بعد معاناة التعب الشديد في ان تنسى عن قولهم الطريقة التي عودوا عليها . فانك كلما وجهتهم الى ما تربية منهم رأيتهم بعد قليل رجعوا وكانوا تسراً الى مجاري تصوراتهم المعتادة سابقاً . ولذلك فن احق ما يصنع الوالدون ان يكلوا امر تعليم بنينهم والعناية بهم الى قوم خاملين وعلى جانب من الجهل وضعف المدارك بدعوى ان بنينهم لا يزالون صغاراً كأنما هم لا يعلمون ان بنينهم في هذا السن تتأثر قوام العاقلة من اقل المؤثرات وتنشأ مجهزاتهم وتتكامل على الكيف الذي يكتفي به اولئك الناس حتى اذا طالت الفتنه لمؤلاه المعلمين ربح في عقولهم او كاد آثار خمولهم وجهلهم واعنادات مجهزاتهم على ما عودهم عليه فلا تطارح الا ما كان من مثله او ما يفاربه ولا تخرج عن ذلك الا بعد العناية الشديد

واسفة رأياً منهم الذين يزعمون ان أي الناس يصلح ان يكون مدرساً في المدارس الابتدائية على حين ان مدرسي هذه المدارس ينبغي ان يكونوا من احكم الناس وانظلم عارفين بطباع من يدرسون واما لهم وقوى عقولهم ليحكموا تلميذها ويتقوا اعوجاجها ويصلحوا الفاسد منها واكثر من ذلك ان يهدوا فيهم الارادة وينفقوها لتكون في ايامهم الاخيرة اهلاً لتدبير قوام العاقلة وصرها الى احسن سبيل يعود عليهم وعلى الانسانية مطلقاً بالنعح الصحيح والخير العام ولا يظن بي اني اريد ان يكون هؤلاء المعلمون في صحاف اكبر فلاسفة الدنيا من جهة

اتساع معارفهم وسمو مداركهم وخصوصية بدائعهم فإن شيئاً من كل ذلك يستغني عنه مدرّس المدارس الابتدائية أمّا أقل ما هنالك ان يكون لم المام وبراعة في المبادئ التي يتوجه اليها عقل التلميذ يدرسها عليهم مع علم بنسبتها الى غيرها من العلوم التي يظلمونها في المدارس الكبرى فيما بعد وإن يكونوا من قوة الارادة وحسن التدبير والتصرف ما يتبدرون معه على تربية عواطف من يهتدون وامم من كل هذا ان يكونوا عارفين باخلاق الطلبة واطباعهم ودرجة تقوّم قلنا مرآة ان العادة اذا استحكمت يصعب تغييرها بعد ذلك ومعلوم ايضاً ان العادات العقلية والادبية في منشاها لانسارة الشخص المعتاد وحسن اعماله وتصرفاته وتزيد هنا المانع ان العادات اذا استحكمت ورسخت فقد تنتقل الى الابناء ومن هؤلاء اذا استحكمت فيهم ايضاً الى ابنائهم وهكذا الا انها في كل جيل قد تكون ارسخ ما قبله وابعد عن ان لا تظهر في الاقطاب الى ان قد تصعب تلك العادات اخرا الامر بمنزلة الفريزيات كما سنذكر عن ذلك فيما يأتي وبناء على ذلك كلو كان من المهم ايضاً ان نتجت عما ينبغي ان نغرسه في الصغار وعن الطرق الموصلة الى ذلك وسنذكر الامة وبالله الاستعانة

(ستاتي البنية)



### مذهب جديد في قوة النمو

لا يخفى انه لولا نور الشمس وحرارتها ما عاش حيوان ولا نبت نبات على وجه الارض وهذا الامر معروف مشهور من قديم الزمان . واما علاقة الشمس بالنمو فأقول من بحث عنها العالم الدينيركي 'لمن حسن' مدير دار الصم الكم في مدينة كوبنهاغن . ذلك انه أمر منذ بضع سنين بتغيير طعام الاولاد الذين في الدار المذكورة فحظرت ان يراقب تأثير الطعام الجديد في صحتهم وتقوم فجعل يزهم كل يوم وبقس طولم وتخنهم . وكان المثلثون ان نثل الاولاد وطولم يزيدان زيادة مستمرة على مدار السنة ولكن ظهر الامر على خلاف ذلك . فانه وجد ان نثل هؤلاء الاولاد وهم سبعون ولداً يزيد كثيراً في فصل الخريف وأوائل فصل الشتاء ثم نقل الزيادة رويداً رويداً حتى تنقطع في شهر اربيل (نيسان) ومن ثم يأخذ الجسم في النقصان فيبقى مقدار ما اكتسب في فصل الشتاء ولا يبقى فيو الأ مقدار ما اكتسب في فصل الخريف . ووجد ايضاً ان ازدياد النثل يفت بغنة عدة ايام في بعض الاحيان او يتقلب الى نقصان وبعد مراقبة طويلة مدة ثلاث سنوات اتصل الى هذه النتيجة وهي : ان نثل الاولاد الذين منهم بين التاسعة والخامسة عشرة يزداد كثيراً من اوائل شهر اوجسطس ( آب ) الى اواسط